﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: 11 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

عـلاقـات آي الـذِّكـر الحكيم وثيقة

لمّا ذَكَرَ الله تعالى ما يُطْلَقُ، ويُنْشَر - وهو الصُّحُف في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ - أتبَعَه ما يُطوَى، ويُحْصَر؛ ليَبدوَ ما فوقه مِن العجائب، ويُنظَر، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿كُشِطَتْ﴾: الكِشاط - ككِتاب - : الجِلْدُ بعد ما يُكشط (يُسلَخ)، وكَشَطَ الغِطاءَ عن الشيء، والجِلْدَ عن الجَزور، والجُلَّ عن ظَهْر الفَرَس - من باب ضَرَبَ - أي: قَلَعَه، ونَزَعه، وكَشَفه عنه، ومنه تَكَشَّطَ السحابُ، أي: تقطَّع، وتفرَّق، ومن ذلك كشط السماء في هذه الآية: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾، كما عُبِّر بـ ﴿ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: 1] ﴿ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: 1] ﴿فُرِجَتْ ﴿٩﴾﴾ [المرسلات: 9] ﴿وَفُتِحَتِ﴾ [النبأ: 19] لكن لكلٍّ معنى خاصّ[2].

2) ﴿سُعِّرَتْ﴾: سَعَرْتُ النارَ والحربَ، أي: هيَّجْتهما، وألهبْتهما، وسَعَرْناهُمْ بالنَّبْلِ، أي: أحرقناهم، وأمضَضْناهم، والمِسْعَرُ والمِسْعارُ: الخشب الذي تُسْعَرُ به النار، ومنه قيل للرَّجُل: إنَّه لمِسْعَرُ حربٍ، أي: تُحْمَى به الحربُ[3]، فالتسعير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ يعني: تهييجها وإلهابها، والعياذ بالله تعالى.

3) ﴿أَحْضَرَتْ﴾: الحَضَر: خلاف البَدْو، والحَضارة والحِضارَة:

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 281.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (كشط).
(3) الجوهري، الصحاح: (سعر).

السكون بالحَضَر، كالبَداوة والبِداوة، ثمّ جُعل ذلك اسمًا لِشَهادة مكانٍ أو إنسان أو غيره، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: 180]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾، وقال: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: 98]، وذلك من باب الكناية، أي: أن يَحْضُرَني الجِنُّ، وكُنِيَ عن المجنون بالمحتَضَر، وعمّن حضره الموت بذلك[1].

والحضور في القرآن على ثمانية أوجه: الكتابة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: 30]، والعذاب، ومنه في الصافات: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: 57]، والاستيطان، ومنه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 196]، والحلول، ومنه: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً﴾ [البقرة: 282]، والمجاورة، ومنه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: 163]، والسماع، ومنه: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ [الأحقاف: 29]، والحضور الذي يضاد الغيبة، ومنه: ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: 28]، والإصابة بالسوء، ومنه: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: 98]، أي: أن يصيبوني بسوء[2]، والمقصود بـ﴿أَحْضَرَتْ﴾ هنا: عملت، وأوجدت[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ومن المقطوع بوقوعه من أحداث النهاية إزالةُ السماء، وتشقُّقُها، وتَفَطُّرُها، وانقشاعها عما فوقها فتتكشف للإنسان أغطية بعض ما كان غائبًا عنه، وتتهيّأ الأوضاع لِمصير الكافر إلى جَحيمِه، والمؤمنِ إلى جنانه.

يوم القيامة تتكشَّف لكل نفسٍ معاييرُ الحق لقبول أعمالها أو رفضها

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (حضر).
(2) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص: 264.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 283.

ومن المقرر حصوله حينئذٍ أن توقَد الجحيم، فتسعَّر، وتُحمَى لاستقبال أهلها من الكافرين الطالحين، وأن تُزْلَف الجنةُ، وتُدنَى، فتُقرَّب إلى أهلها من المؤمنين الصالحين.

فإذا تمَّ كلُّ ما سبَق وتحقَّق - بدءًا من تكوير السماء، وحتى إزلاف الجنة - علِمت كل نفْسٍ مكلّفةٍ علم رؤية وبصَرٍ ويقين جَدْوى ما قدّمته لنفسها من صالح الأعمال وطالحها، وأبصرتْ معايير الحق والصواب لقبول أعمالها أو رفْضها، التي عُمِلتْ، ودوِّنتْ عليها هنالك في الدنيا، فاستصحبته، وأحضرته معها إلى هذا المقام - مقام الحَشْر والنَّشْر والحساب - ويقال لكل إنسان: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: 14].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى (اللّام) في ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾:

ما عهده الناس عظيمًا في الدنيا يكون يوم القيامة هيِّنًا ضعيفًا لهول الأحداث

(اللّام) في ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ لتعريف العهد الذهنيّ، أي: السماء التي عهِدها الناس المخاطَبون في حياتهم الدنيا، والعربُ تُسمّي السحابَ سماءً، والمطرَ سماء، والسماءُ: سقفُ البيت، وكلُّ عالٍ مُطِلٍّ سماءٌ، حتى يقال لِظَهْر الفرس: سماء[1]، وقال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ [الحج: 15]، أي: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: 15]، يعني: سقف البيت، وكلُّ شيءٍ علاك، وأظلّك فهو سماءٌ، والسحابُ: سماء، يقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾ [ق: 9][2].

وعلى ذلك فقد تكون ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ المذكورة هنا هي أغلِفةُ الغازات التي تَعلو الأرض، أو غيرَها مما وراءها مما لا نعلم، فإنها إذا كُشِطت، وأُزيلتْ؛ تضاعفتْ على الأرض حرارةُ الشمس، وغرق الناس في العرق إلّا مَن حفظ الله من المؤمنين، ويكون العرق على

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سمو): 3/ 98.
(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 211.

قدر إيمان كلٍّ منهم وصلاح عمله، كما أخبر الرسول ﷺ[1]، والله تعالى أعلم بمراده.

دلالة التعبير بالكَشْط في جملة: ﴿كُشِطَتْ﴾، مادةً وصيغةً:

الكبير والصغير سواءٌ أمام قدرة الله تعالى

الكشطُ دَفْعُك شيئًا عن شيء قد غطاه، كما يكشط الجلد عن السنام[2]، ومعنى ﴿كُشِطَتْ﴾ عند المفسرين: قُلِعَتْ كما يُقلَع السَّقْف[3]، فذهبتْ، أو طويتْ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: 104] الآية[4]، فكُشِفت، وأُزيلَتْ عما فوقها، كما يُكشَطُ الإهاب عن الذبيحة، والغِطاء عن الشيء[5]، والتعبير بالكشط في هذه الآية يدلُّ على هول المشهد؛ إذ السماء - وهي الجرم العظيم - تنزع، وتقلع، كما يقتلع الجلد، ويسلخ، وفي هذا عظيم التخويف والتحذير من شدَّة ذلك اليوم العظيم.

وصيغة الماضي في ﴿كُشِطَتْ﴾ توحي بأنها "قُلعت بقوّة عظيمة وسرعة زائدة، وأزيلت عن مكانها"[6] إذا آن أوان ذلك كما هو في علم الله تعالى.

بلاغة الاستعارة في جملة ﴿كُشِطَتْ﴾:

قدرة الله تعالى المطلقة تتصرّف في العالَم كما يشاء وقتما يشاء

إذا كان أصلُ الكشطِ هو السلخَ؛ فقد استُعير الكشطُ هنا للإزالة[7]، ونوع الاستعارة مكنية؛ وذلك بتشبيه السماء بحيوان

(1) عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكونَ مِنْهُمْ كَمِقْدارِ ميلٍ»، قال سليم بن عامر: فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين، قال: «فَيَكونُ النّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمالِهِمْ في العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَكونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يَكونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، ومِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلجامًا»، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في صفة يوم القيامة، أعاننا الله على أهوالها: 8/ 158 برقم 2864.

(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 430.

(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 432.

(4) الماوردي، النكت والعيون: 6/ 215.

(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: 31/ 67.

(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 281.

(7) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 260.

يُسلَخ، ويُزال عنه جلدُه، فحُذِف الحيوان، ووصفت السماء بلازمه - وهو الكشط - والمعنى: "وإذا السماء كُشطت، وقطعت، وأزيلت، كما يُكشط الإهاب عن الذبيحة، والغِطاء عن الشيء المستور به"[1].

وتكمن بلاغة هذه الاستعارة في بيان عظمة الله تعالى، وقدرته على إزالة السماء واقتلاعها ونزعها؛ لينكشف ما فوقها.

دلالة بناء الفعل في جملة ﴿كُشِطَتْ﴾ للمفعول:

في بناء فعل الكشط لِما لم يسمَّ فاعلُه - في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ - إلماحٌ إلى تَعيُّن الفاعل، وأنَّه لا يقدر على ذلك الفعل الكبير إلا الكبير ﷻ، سواء بالأمر المباشر (كنْ)، أو بتكليف الملائكة بفعله.

سبحان الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض

التَّعبير بالجحيم في الآية الكريمة:

الجحيم أصلُه: النارُ ذاتُ الطبقات مِن الوقود مِن حطبٍ ونحوه بعضها فوق بعض، وصار عَلَمًا بالغَلَبة على دار العذاب في الآخرة[2]، فـ (الـ) في ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ لتعريف العهد الذهني؛ إذ تختصّ في الأذهان بجحيم الآخرة حين يُعرَّف بها، وتستحضر خطورته، ويتملَّكها الرعب والفزع؛ إذ ربّاهم الوحي الشريف على رهبته، والعمل للنجاة منه.

كـلّ جحيم لا يُعَدُّ جحيمًا إذا قيس بـ (الجحيم) الأخرويّ

وتعريف ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ بـ (الـ) يوحي بفظاعته، وأنّ كلّ جحيم سواه دونه بكثير، ولا يُعَدُّ جحيمًا؛ إذا قيس به، فهو ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾ الأبديُّ الخالد؛ لذلك تنصرف أذهان العباد إليه حين يُعرَّف بـ (الـ).

دلالة التَّعبير بالفعل ﴿سُعِّرَتْ﴾ مادَّةً وصيغةً:

تَسْعير الجحيم في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ يعني أنها أوقِدَ عليها، فأُحْميت - سَعَّرَها غَضَبُ الله تعالى، وخطايا بني آدمَ

الجحيم توقَد إيقادًا شديدًا، وتقرَّب من الكافرين بغاية السُّرعة

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 116.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.

- وأوقِد عليها مرَّةً بَعدَ مرَّةٍ[1]، وأنها هُيِّئَتْ لِعذابِ مَن حقّ عليهم العذاب[2]، فاستعرت، والتهبت التهابًا لم يكن لها قبل ذلك[3].

وصيغة المُضيِّ في الفعل ﴿سُعِّرَتْ﴾ توحي بأنها أوقدت إيقادًا شديدًا بأيسرِ أمرٍ، وقُرِّبَتْ من الكافرين بغاية السُّرعة[4]، كما تفيد صيغة الماضي تحقُّق الوقوع[5]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾﴾ يحتمل أنْ يُحْدَثُ تسعيرها، فيكون فيه علم الحدَثيَّة، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ يحتمل أن يبتدئ تسجيرها، ولمّا تسجّر من قبل، وجائز أن يراد من التسجير والتسعير على ما كان من قبل؛ لِقوله: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: 24]، وقد كان وقودها بغير هذين، ثم يُزاد في وقودها بالناس والحجارة"[6].

نكتة بناء الفعل للمفعول في جملة ﴿سُعِّرَتْ﴾:

كفى بلهيب النار واعظًا وزاجرًا

بناء فعل التسعير للمفعول في جملة: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ ناظرٌ إلى علم المخاطَبين بفاعله ضرورة أنّ الوعد والوعيد نازل من قِبَل الله تعالى، وإلى ذلك فإبهام الفاعل يضفي على الفعل خطورة، إضافة إلى أنه يوفِّر عناية المتلقي على التفكر في فظاعة الفعل ذاته، دون أن ينشغل بالفاعل مَن يكون؟.

معنى (ال) في ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾، ولطيفة إفرادها:

لا نعيم إلّا في جنة الله الرحيم

(الـ) في ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ لتعريف العهد الذهنيّ، التي صارت عَلَمًا بالغَلَبة على دار النعيم[7]، والجنة في الأصلِ البستانُ ذو الأشجار الملتفّةِ

(1) جامع البيان، الطبري: 24/ 150.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 912.
(4) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 282.
(5) قد احتَجّ بهذه الآية مَن قال: النار غيرُ مخلوقةٍ الآن، قالوا: لأنها تدل على أن تسعيرها معلَّقٌ بيوم القيامة، الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: 31/ 67.
(6) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 10/ 433.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.

والرياضِ المعجبة[1]، وتعريف ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾؛ لتمييزها بجنَّةِ الخُلدِ يوحي بأنها بالنسبة إلى جَنّات الدنيا هي ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾، وأن ما سواها كأنه ليس بجَنّة، وعلى ذلك فتعريفها مع إفرادها دليلًا تفخيم وتعظيم.

وقال الرازي: الجنَّة تارةً تأتي في القرآن الكريم مفردة، وأخرى جمعًا، وتارة مثناة، أمّا الجنة عند التوحيد؛ فلأنها لاتصال المنازل والأشجار والأنهار كجنَّةٍ واحدة، وأما حِكمة الجمع؛ فلأنها بالنسبة إلى الدنيا وبالإضافة إلى جَنّانها جناتٌ لا يَحصرها عدد.

وعند الوَعْد وحَّد الجنة، وكذلك عند الشراء؛ إذ قال تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: 111]، وعند الإعطاء جمَعَها؛ إشارة إلى أنّ الزيادة في الوعد موجودة[2]، و"لاشتمالها على ما تلتذُّ به الروح والجسم كأنها جنتان، فالكل عائد إلى صفة مدح[3].

دلالة التعبير بالإزلاف في جملة ﴿أُزْلِفَتْ﴾:

﴿أُزْلِفَتْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾، أي: قُرِّبت، وأُدْنيَت[4]، قُرِّبَتْ من أهلها، وجعلت بقُرْبٍ مِن مَحْشرهم؛ بحيث لا تَعَبَ عليهم في الوصول إليها، وذلك كرامة لهم[5].

بلاغة الاحتباك:

الاحتباك القرآني يوثق عُرى الكلام

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ احتباك بديع؛ من شأنه توثيق عُرى الكلام، مع تحقيق الإيجاز البليغ؛ إذ إنَّ ذِكْر التسعير أولًا دالٌّ على ضِدّه في الجنّة ثانيًا، وذِكر التقريبِ ثانيًا دالٌّ على مثلِه أولًا[6].

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 282.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 28/ 166 بتصرف.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 29/ 371.
(4) جامع البيان، الطبري: 24/ 150.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.
(6) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 21/ 282.

لطيفة بناء الفعل ﴿أُزۡلِفَتۡ﴾ للمفعول:

في بناء الفعل ﴿أُزۡلِفَتۡ﴾ للمفعول تنبيه على أنه ينبغي العلم به، فالخير إليه ﷻ، والشر ليس إليه، وكذلك في حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول مسارعة إلى زَفِّ البُشرى للمخاطبين، وإيقافهم عليها ذاتها، تعجيلًا لمسرَّتهم.

غرض إطالة الأوصاف والأحداث من أول السورة حتى هنا:

استعراضُ أحداث النهاية يَحُثُّ أولي الألباب على الاستعداد ليوم المعاد

كثرة الأوصاف في مطلع هذه السورة؛ للدلالة على عظيم الهول في ذلك اليوم، وأنَّه ينبغي أن يتزوَّد له، ويُحذَّر من خطره؛ قال السعديّ: هذه الأوصاف التي وصَف الله بها يوم القيامة مِن الأوصاف التي تنزعج لها القلوب، وتشتدّ مِن أجلها الكروب، وتَرتعِد الفرائصُ، وتعم المخاوف، وتحث أولي الألباب للاستعداد لذلك اليوم، وتزجرهم عن كل ما يوجب اللوم، ولهذا قال بعض السلف: مَن أراد أن ينظر ليوم القيامة كأنه رأي عين، فليتدبر سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[1].

الموقع الإعرابي لجملة: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾:

في معرفة أحداثِ النهاية تأثيرٌ في النفوس لتحرص على أعمالها

قولُه تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾ جوابٌ لقولِه: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ وما بعدَها[2]، وهذه الجملة يتنازع التعلق بها كلمات ﴿إِذَا﴾ المتكررة[3]، قال النسفيّ: هذه اثنتا عشرة خِصلة، سِتٌّ منها في الدنيا والباقية في الآخرة، ولا وقْف مطلقًا مِن أوّل السورة إلى ﴿مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾؛ لأنّ عامل النصب في ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ﴾ وما عُطِف عليه جوابُها، وهو ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، ولِضرورة انقطاع النَّفَس على كل آيةٍ جوِّز الوقف[4].

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 912.
(2) جامع البيان، الطبري: 24/ 152.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.
(4) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 607.

والمعنى: "إذا كانت هذه الأشياء - التي تكون في القيامة - علِمتْ في ذلك الوقت كلُّ نفسٍ ما أحضَرته مِن خير، أو شر تُجْزَى به"[1]، وعن عمر بن الخطاب: أنه قرأ أول هذه السورة، فلمّا بَلَغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ قال: لِهذا أجريت القصة، أي: هو جواب القسم، ومعنى ﴿عَلِمَتْ﴾ أنها تُعَلَّمُ بما أحْضَرَتْ، فتَعْلَمه[2].

دلالة التعبير بالعِلم في جملة: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾:

العِلْم في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ علم بصر وبصيرة؛ إذ تكشّفت للنفوس الحقائق، ومعنى عِلْم النفوس بأعمالها اطِّلاعُها عليها مفصّلةً في الصحف، بحيث لا يَشذّ عنها منها شيء - كما ينبئ عنه قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: 49]، أو أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة، فإن كانت صالحةً تشاهدها على صورٍ أحسنَ مما كانت تُدركها في الدنيا؛ لأن الطاعات لا تَخلو فيها عن نوع مشقّة، وإن كانت سيئة تُشاهدها على خلافِ ما كانت عندها في الدنيا؛ لأنَّها كانت مزيَّنة لها موافقة لهواها"[3].

في الآخـرة يـرى المـؤمـن أعـمـالـه أحـسـنَ مـمـا عملها، والكافر يـرى أعـمـالـه أسوأ مما عملها

دلالة إفراد ﴿نَفْسٌ﴾ في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾:

أفرَد النظمُ الكريم كلمة ﴿نَفْسٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ "للإشعار بأنه إذا علمت ﴿نَفْسٌ﴾ من النفوس ما أحضَرَت عند قيام الساعة، وجب على كل ﴿نَفْسٌ﴾ إصلاح عملِها؛ مخافة أن تكون هي التي عمِلَت، أي: إن العاقل يجب عليه أن يتجنب أمرًا يَخشَى منه النَّدم والمؤاخذة"[4].

عـلى كـل نفس إصلاح عملِها، وأن تـتـجـنـب أمـرًا يُخشَى منه النَّدم والمؤاخذة

وذِكر ﴿نَفْسٌ﴾ نكرةً في سياق الشرط يُراد بها العموم، أي: علمت

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 430.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 348.
(4) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 10/ 1804.

كل نفس ما أحضرت، واستِفادةُ العموم مِن النكرة في سياق الإثبات تَحصُل من القرينة الدالة على عدم القصد إلى واحدٍ من الجنس، والقرينة هنا وقوعُ لفظ ﴿نَفْسٌ﴾ في جواب هذه الشروط، ولا يَخطر بالبال أن تكون شروطًا لِشخص واحدٍ، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: 30][1].

معنى ﴿مَّآ﴾ في قوله: ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾:

﴿مَّآ﴾ في قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ موصولة، ونكتة إيثارها على صريح اسم العمل أنها تتسع لِشمول أعمال النفس مِن خير وشرّ جميعًا، و"المراد بحضورها إما حضور صحائفها - كما يعرب عنه نشْرُها - وإما حضورُ أنفُسِها - على ما قالوا مِن أنّ الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورةٍ عرضية تَبْرُز في النشأة الآخرة بصورٍ جوهرية مناسبة له في الحُسْن والقُبح، على كيفيّات مخصومة وهيئات معينة، حتى إن الذنوب والمعاصي تَتجسَّم هناك، وتَتَصوَّر بصورة النار.

الأعمال الظاهرة تَبْرُز في النشأة الآخرة مجَسَّمة بصورٍ جوهرية مناسبة لها حُسْنًا وقُبحًا

وعلى ذلك حُمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: 49]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: 10]"[2].

لطيفة إسناد الإحضار إلى النُّفوس:

أُسنِد إحضار الأعمال إلى النفس في جملة: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾، مع أنَّها تُحضَر بأمر الله تعالى - كما يؤذن به قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: 30] - لأنَّها لَمّا عملتْها في الدنيا، فكأنها أحضَرتها في الموقف[3]، فدلّ على أنَّ عَمَلَ النَّفس في الدنيا سببٌ في سعادتها أو شقاوتها بها في الآخرة.

عملُ النَّفس في الدنيا سببٌ في سعادتها أو شقاوتها في الآخرة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 150.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 9/ 116.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 260.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإزلاف والتقريب:

الإزلافُ التقريبُ لِـغَـرَضٍ، والتقريبُ مطلَقٌ مـكـانًـا وزمـانًـا ومعنًى

الزُّلْفة: المنزلة، وجمعها الزُّلَف، والزُّلفى: القُرْبة، وأُزلِفَت الجنة: قُرِّبت، وازدلف القوم: اقتربوا، وأزلف الشَّيءَ: قرَّبه، وقدَّمه، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: 90]، ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الشعراء: 64]: قرَّبناهم من البحر لأجل الإغراق، وازدلف الشَّخصَ: قرّبه إليه، وازدلف إليه: تقرّب منه مادحًا إيّاه نفاقًا؛ لِقضاء مصلحة أو حاجة، وتزلَّفَ إليه: تقرَّب منه مادحًا إيّاه نفاقًا؛ لقضاء مصلحة أو حاجة"[1].

والقُرب وجودُ الشيء في الحيز متاحًا مُهَيَّأً؛ للتناول أو الوصول إليه، ومنه القُرْب المكاني قال تعالى: ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾ [سبأ: 51]، وكذلك الزماني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النساء: 77]، ثم القرب المعنوي قُرْب المنزلة: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: 99]، ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم: 52][2].

(1) عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة: (زلف).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (قرب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والستون،
سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 66 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-45-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 66 : المجلد السادس والستون، سورة النَّازعَات من الآية 27 إلى سورة الأعْلى الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-45-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6448894 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"